تؤكد لنا صفحات التاريخ القديم أن الأعشاب كانت العلاج الشافى من كل مرض .

فبدلا من الأقراص والحقن ، كان هناك ما هو أقوى وأنظف وآمن وأوفر ، واليوم يعود الأطباء ويطالبون بهذا الدواء السحرى . وهذه الأعشاب التى عرفها الإنسان بفطرته ، وتعلم أن علاج أمراضه يكمن فى مجموعة من الأعشاب التى تخرج من الأرض الطيبة العذراء ، والتى لم يتدخل فيها الإنسان بإخلال توازنها والتى خلقها الله بحكمته .

واهتدى الإنسان الفرعونى إلى أن تناول بعض أجزاء النبات كالبذور ، والأوراق والسيقان ، يمكن أن تخلصه من آلامه ، أو تخفف من حدتها ، وأن الأعشاب هى مصدر الشفاء للمريض .

وكان الذى يصف هذا النوع من العلاج ويوصى باستعماله هو "العشاب" Herbalist وهو اسم مرادف لاسم الطبيب الآن . وإذا تعمقنا فى التاريخ نجد أن أسماء كثيرة من الأعشاب والوصفات الطبية النباتية على أوراق البردى وتسمى "برديات الشفاء" وأهم هذه البرديات بردية "كاهون" وبردية "أودين سمث" وبردية "إيبرس" وتعتبر بردية "إيبرس" من أشهر البرديات وأكثرها احتواء للعديد من الأعشاب والنباتات الطبية والوصفات .

وكان للمصرى القديم قائمة من العقاقير إلا أنها لم تكن كيميائية .

■ **الخروع :**

وسميت شجرته المصرية القديمة "دجم D G M" واستخدم زيت الخروع فى الإضاءة والطب .

ـ فذكر "إيبرس" فى برديته أن طحن البذور مشروب العامة من القدماء

الذين كانت لهم مشاكل صحية مثل الإمساك وأمراض الأمعاء والجهاز الهضمى بصفة عامة .

ـ كما أنهم سحقوا بذور الخروع ووضعوا عليها الماء الدافئ ثم وضعوها على الرأس وكانت تشفى آلام الرأس المزمنة .

ـ كما استخدمت المرأة الفرعونية زيت الخروع منذ سبعة آلاف سنة ق . م فى غذاء شعرها أو إعطائه لمعانا وبريقا لا ينافسه أى زيت آخر ، حيث يساعد زيت الخروع على نمو بصيلات الشعر بغزارة وهذا ما أثبته الطب الحديث .

ـ ويعد زيت الخروع من أفضل الملينات للأطفال والبالغين ، حيث استخدمه المصريون القدماء لتسكين الآلام وإزالة الالتهابات الناتجة عن الكدمات .

ـ كما استخدموه فى صورة مرهم للالتهابات الروماتيزمية الحادة .

ـ كما استخدمه القدماء أيضا فى مسح الأنف به ، فإنه يقضى على الرائحة الكريهة بالفم والأنف .

■ منع الحمل باستخدام الخروع :

وقديما كانت بذور الخروع تستخدم فى تنظيم الحمل مثل أقراص منع الحمل ، فكانت المرأة تأكل بذرة من بذور الخروع وتمضغها جيدا لاعتقادها أن ذلك يمنع الحمل لمدة شهر ثم بذرة أخرى كل شهر .

■ الحناء :

وكما استخدم المصريون القدماء الحناء فى الزينة استخدموها أيضا فى العلاج .

حيث ثبت من الرحلات البحثية أن الحناء استخدمت منذ ما يقرب من سبعة آلاف سنة قبل الميلاد فى علاج الأمراض الجلدية ، وقد ثبت علميا أن تجفيف أوراق نبات الحناء وطحنها يعطى مسحوقا يحتوى على مادة فعالة تسمى "اللوسون Lowsone" كما ثبت أن هناك مركبين من مشتقات مادة الكومارين

ومواد قابضة "Taninin" التانينات وجليكوسيد .

وجميع هذه المواد ذات خواص عديدة نذكرها :

اللوسون : ويعطى اللون البنى المحمر والبرتقالى الطبيعى للحناء .

المواد التانينية : مواد فعالة مقاومة للجراثيم والفطريات التى تصيب الجلد نتيجة لوجود نسبة من الرطوبة تتسبب فى الإصابة بتينيا الأصابع "القدم الرياضى" .

الكومارين ومشتقاته : يقوم بدور فعال فى القضاء على معظم الجراثيم الفطرية والبكتيرية ، ويعمل كمضاد حيوى قوى ضد البكتيريا والفطريات .

وهذه المواد مجتمعة فى الحناء عندما تغطى مكان الالتهابات فإنها تقضى عليها وخاصة الهرش والجرب بأنواعهما .

وتستخدم سيقان شجرة الحناء فى صناعة أجمل السلال التى توضع بها الفاكهة والخضراوات فلا تتلف ، ومن أزهارها استخرجت "التمر حنة" والروائح والأسانس .

■ النباتات الطبية العطرية قديما وحديثا :

عرف المصريون القدماء النباتات الطبية والعطرية منذ عصر ما قبل التاريخ ، أى منذ ما يقرب من ستة آلاف سنة قبل الميلاد ، ويعتبر المصريون من أوائل الشعوب التى اهتمت بهذه النباتات ، حيث مارسوا الطب على أسس سليمة ، فلا تزال برورياتهم تحمل الأدلة المؤدية لذلك . فقد أفادت البرديات أن هذه النباتات كانت تنمو فى وادى النيل وعلى ضفافه وفى الصحارى الواسعة . كما كانت تزرع فى الحدائق المنزلية وحدائق المعابد ، وكان الكهنة الذين زاولوا مهنة الطب يتلقون محاضرات الحياة ، وكانت هذه المدارس بمثابة أكاديمية علمية يحصلون منها على شهادات عملية تثبت جدارتهم لهذا العمل ، ومن المسلمات أن الطب درس بمختلف تخصصاته منذ عصور ما قبل الأسرات ، أى عام ٤٠٠٠ ق . م فى جامعة "أون" أى هليوبوليس ، وعرف

الكهنة فوائد جميع النباتات الطبية والعطرية المستخدمة ، وتركيباتها والمواد الداخلة فيها ، ومن ثم كان التحنيط يعتمد اعتمادا كبيرا على النباتات مثل الكتان والحناء ونشارة الخشب وزيت خشب الأزر الذى كان يستورد من لبنان ، وثمار العرعر والبصل والقرفة والمر ولبان الدكر الذى كان يستورد من بلاد بونت Punt أى الصومال ، ومن جنوب الجزيرة العربية علاوة على الخيار شنبر والصمغ العربى ومواد راتنجية نباتية أخرى إلى جانب ملح النطرون ، وكانت الكوبرا هى شعار الطب قديما لما فيها من معانى للقوة والإرادة ومهاجمة العدو رمزًا للشفاء من المرض ، وكان أمحوتب ، وهو أشهر طبيب فى الدولة القديمة وفى تاريخ البشر ، قد أقام معبدا للطب فى منف ، وخلد اسمه واعتبر رمزا للطب والشفاء . وقال الرحالة هيرودوت اليونانى : إن المصريين القدماء عرفوا التخصص فى فروع الطب ، وتخصص المزاولون له فى أوجاع الرأس والأسنان ، وبعضهم فى أمراض البطن والعيون . وذكر فى أوديسا هوميروس أن مصر بلد الأطباء أحكم أهل العالم .

ووجدت فى البرديات الطبية وصفات خاصة بأمراض الأطفال وأخرى بالنساء ، وبالإضافة إلى الجراحة ، حتى إنهم عرفوا أمراضا لم تعرف إلا فى العصر الحديث ، مثل شلل الأطفال حيث صور الكاهن روما Ruma هذا المرض بساقه اليمنى ، حيث جعلها متدلية وضامرة نحو الأرض مستعملا عصا طويلة . وكانت العقاقير الطبية تشغل آنذاك خمسة أسداس جملة العقاقير المستخدمة فى العلاج . ومن المسلم به أن المصريين القدماء هم أول من فصل مهنة الطب عن الصيدلة ، وكان أوزوريس يعد العشاب الأول فى الكون ، وهو الذى علّم الناس خواص الأعشاب والنباتات الطبية كما كشفت زوجته إيزيس عن كثير من خواص العقاقير .

وكان هناك سر كبير فى حصول القدماء على نتائج إيجابية بعد التجرع بجرعات الأعشاب ، حيث اعتمدوا أساسا على الثقة الكاملة فى أن العشب الذى يتناوله المريض سوف يقهر المرض .

وقد عثر على مدى السنين الماضية على عدد من البرديات التى حملت معها الوصفات الطبية والتراث العشبى . فورد فى بردية "جورج أيبرس G. Ebers" التى كتبت فى عام ١٥٥٠ ق . م . التى عثر عليها بالقرب من طيبة (الأقصر) وبها حالات أعراض المرض وطريقة تشخيصها وكيفية علاجه .

كما عثر فيها على علاج الأمراض الجلدية ، وأمراض العيون ، والباطنية والمسالك البولية ، وأمراض الأطفال ووجد معها كثير من النباتات والأعشاب التى تستخدم فى الطب منها البصل والخروع والصبار والكراوية والمر والخشخاش ، بالإضافة إلى كثير من الوصفات لطرد الحشرات المنزلية ، ومعرفة اللبن المغشوش . ومن بين البرديات المهمة أيضا بردية لندن الطبية London Medical Pypyrus التى ترجع إلى النصف الثانى من الأسرة الثامنة عشر ، وجاءت بها وصفات تتكون من مراهم (دهانات) نباتات وعسل نحل ، والزيت واللبن ومراهن ولصقات "لزقة" ، ولبخة وحقن شرجية .

وكان من أهم النباتات الشائعة آنذاك وتضمنتها البردية : الكراوية والكمون والينسون والكزبرة ، والخروع ، والنعناع ، والبابونج ، الحنظل والسنامكى ، والخلة البلدى ، والخلة الشيطانى ، وحبة البركة ، والسكران المصرى ، والريحان ، والخشخاش ، والقرنفل ، والمر ، والزعفران ، والخردل وغيرها .

ويتضح جليا من ترجمة بعض البرديات القديمة منذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد فضل الطب الفرعونى كثيرا على الطب الحديث ، فكان يعرف الجراحة المتقدمة ، وفصائل الدم ، والطب النفسى ، كما ساعدت المومياوات المحنطة كثيرا فى عمليات تشريح الجسم البشرى ، وكانت حقلا خصبا لإجراء الأبحاث عليها ومعرفة كثير من الأسرار الخفية عن الإنسان .

ومن الجديد من فروع العلم العديدة ما يسمى Paleobtany بعلم حفريات حبوب اللقاح للنباتات ، وهو علم يدخل مصر حديثا ويساعد الباحثين فى التعرف على نوع الغذاء النباتى الذى تناوله الإنسان فى العصور الفرعونية ،

ونوع الزراعة عنده بالإضافة إلى الأنواع المفضلة لديه لزراعتها ، والمواد المستخدمة فى صناعة ملابسه ، وكيف كان يعالج الأمراض وأى الأعشاب كان يستخدم ؛ هذا ما سوف نجيب عنه من خلال تحليل عينات من التربة معروفة العمر ومحددة الفترة الزمنية .

وقد تم تحديد عمر بعض العينات التى تقترب من الخمسة آلاف سنة قبل الميلاد بواسطة علماء من الخارج ، تم الحصول عليها من بعض المقابر الفرعونية ، ومن الأماكن التى عاش فيها الإنسان الفرعونى ، ومن أماكن "الحمامات" الخاصة ومن أماكن إعداد الطعام .. وتم الكشف عن ذلك بهضم هذه العينات بواسطة بعض المحاليل وتحويل الرمل والحصى بها إلى سائل للحصول على حفريات حبوب اللقاح ، فمن المعروف علميا أن جميع النباتات فى العالم تختلف فى الشكل والتركيب عن بعضها البعض .

فإذا اتفقت الحبوب فى الفصيلة كان بينها اختلاف واضح ، فلابد من أن يكون هناك اختلاف فى البصمة ، فلكل نبات بصمة خاصة به يتميز بها عن غيره وتدل عليه . مثلها مثل التوأم المتماثل يتشابهان فى كل شىء إلا البصمة فالبصمة تميز كل فرد عن الآخر لتدل عليه شخصيا .